الأستاذة سميرة بوجرة

المحاضرة رقم 6

الاستعـــــــــــارة

أولا/ الاستعارة

1. لغة: تعرف الاستعارة بأنها " العارية والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إيّاه والتعاور: شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين واستعاره: الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إيّاه.

وتعرف الاستعارة: " من اسْتَعار، استعارة: (ع، ور) الشَّيْءَ مِنْهُ أَو هُوَ الشَّيء طلب منه أن يعيره إيّاه أرى الدهر يستعيرني شبابي أي يأخذه مني.

من خلال ما سبق ذكره يتّضح أنّ مصطلح استعارة في سياقه اللغوي يحمل معنى التداول والمناولة؛ وهي بمعنى أخذ الشيء والعطاء والطلب.

2. اصطلاحا: تُعدّ الاستعارة من أبرز الظّواهر البلاغيّة التي شغلت النّقاد العرب القدامى، إذ تجسّدت في كتاباتهم بوصفها عنصراً جمالياً ووسيلةً تعبيريةً أساسية في الأدب العربي، لا سيما في الشعر والخطاب القرآني .

وقد تعددت تصوراتهم حولها بحسب مستوياتهم المعرفية وتطور المنهج النقدي والبلاغي، حيث اتّخذت عند بعضهم طابعاً وصفياً مباشراً، فيما بلغت عند آخرين مستوى التنظير العميق والتقعيد المنهجي، بدأ الاهتمام بالاستعارة عند النقاد العرب منذ القرن الثالث الهجري.

عرّف ابن قتيبة الاستعارة بقوله:" هِيَ أَنْ يَنْقُلَ اللَّفْظُ مِنْ مَوْضِعِهِ الحَقيقيّ إِلَى غَيْرِهِ إِذَا عُرِفَ المَعْنَى" تعتمد الاستعارة حسب ابن قتيبة على استعمال لفظ في غير معناه الأصلي، بشرط

أن يكون السياق واضحًا والمراد مفهومًا. فالاستعارة عنده تقوم على الانتقال من الحقيقة إلى المجاز لعلاقة المشابهة، دون إغفال أهمية الفهم السّياقي للمعنى.

يعرّفها **الجاحظ** بقوله: "الِاسْتِعارَةُ أَنْ تَسْتَعيرَ الكَلِمَةَ فَتَجْعَلَها فِي غَيْرِ مَوْضِعِها، وَتَسْتَعيرَ الشَّيْءَ لِتَدُلَّ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ". فالاستعارة عند الجاحظ تقوم على نقل لفظٍ من معناه الأصلي إلى معنى آخر، بقصد الدلالة على غير ما وُضع له أصلًا، وهي بذلك نوع من المجاز الذي يُستخدم فيه اللفظ لغير معناه الحقيقي لعلاقة ما ويكون في ذلك نوع من التوسع في اللغة، والغرض منه البلاغة والإيجاز أو الإيضاح.

أما **"أبو العباس أحمد ثعلب"** فيعرّف الاستعارة بقوله: " أن يُستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه". وهو تعريف قريب من جوهر الاستعارة، أخذه عنه ابن المعتز لاحقا.

وعرّفها **أبو هلال العسكري** بقوله: «الاسْتعَارَة نقلُ العِبارَة عن مَوْضِع اسْتعمَالهَا في أَصْلِ اللُّغَة إلى غَيْرِهِ لِغَرضٍ وَذَلِكَ اَمّا اَنْ يَكونُ الشَّرْحُ المَعْنَى وَفَضْلَ الإِبَانَةِ عَنْ تَأْكيدِهِ والْمُبالَغَةِ فِيه اَوْ الإِشارَةُ اَليه بالتَّحْليل أَو التَّحْسين الَّذي يبرز فيه ». قد رأى أنّ الاستعارة تقوم على مبدأ التشبيه، لكنّها أبلغ منه، لأنّها تحذف الأداة ووجه الشبه، فيكون فيها إدماج وتخييل أعمق.

يرى **عبد القاهر الجرجاني** أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية، ويقول: " وَاعْلَمْ أَنَّ الِاسْتِعارَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الكَلامِ لَمْ تَقَعْ لِتَفَهُّمِ وَحْدِهَا، وَلَا تَجْعَلُ هِيَ المَقْصودَ بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا يُرادُ بِهَا مَا بَعْدَهَا ". فالاستعارة إذًا لا تكتسب قيمتها الجماليّة إلاّ من خلال موقعها في النّظم الكلي، ولا تنفصل عما قبلها وما بعدها من عناصر النص، أي أنها لا تُفهم إلا في سياقها الذي تنبني فيه العلاقات بين الألفاظ والمعاني.

وعرّفها **السكاكي** بقوله: «الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالّا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به»،

أي هي **استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة، مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.**

إليك الآن تفصيل ما جاء مجملا في التعريف الأخير للسكاكي :المقصود بالمعنى الأصلي المعنى الوضعي أو الحقيقي الذي تواضع عليه الناس في الاستعمال الأول للغة، فإذا قلت **رأيت القمر** فإن كل عارف باللغة العربية لا يشك في أن المقصود من كلمة القمر ذلك الكوكب المنير بالليل أما إذا قلت **كلمت قمرا** فإن ما يفهمه المتلقي من كلمة القمر لابد أن يكون مغايرا للمعنى المتعارف عليه بين الناس حيث يستحيل تكليم القمر باعتباره لا يعقل وبهذا تكون كلمة **"كلّمت "** قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي أي أنك استعرت هذه الكلمة لاستعمالها في معنى ثان هو المعنى العارض أو الجديد يراد منه المرأة الجميلة . وبما أ ن كلمة القمر بمعناها الأصلي وبمعناها العارض يشتركان في صفة واحدة هي الجمال فإن العلاقة بينهما هي علاقة مشابهة.

ويعد عبد القاهر الجرجاني أول من تفطن إلى الفرق الذي يميز الاستعارة عن المجاز المرسل في حديثه عن المجاز اللغوي، ذلك أنه نبّه إلى أن علاقة المجاز المرسل غير المشابهة وعلاقة الاستعارة هي المشابهة.

ثانيا/ أركان الاستعارة

- **المستعار له:** (المشبّه).

- **المستعار منه:** (المشبّه به).

- **الجامع:** (وجه الشبه).

- **المستعار:** هو عند بعضهم لفظ المشبّه به وإن كان محذوفا، وعند السكاكي لفظ المشبّه. لكن لا بدّ من اعتماد رأي الجمهور. مثال ذلك: بكت السّماء فضحكت الأرض. شبّهت السماء الممطرة بامرأة تبكي، والأرض المرتوية بامرأة تضحك. أما الاستعارة فتكمن في الفعلين

(بكت وضحكت)، إذ شبّه انهمار المطر بالبكاء، وارتواء الأرض بالضحك، فيكون المستعار له (الانهمار والارتواء) والمستعار منه (البكاء والضحك).

لنبحث الآن عن أركان الاستعارة في المثال السابق:

-المستعار له: المشبّه هو: السماء+ الأرض.

-المستعار منه: المشبّه به هو: المرأة في الحالين.

-الجامع: وجه الشّبه (انهمار المطر- انهمار الدمع) (اشراق الأرض- اشراق الوجه)

المستعار: لفظ المشبه به وإن كان محذوفا في نظر الجمهور (المرأة).

-قرينة الاستعارة:

ولا بد من قرينة تهدي الى وجود الاستعارة. وإما تكون لفظية أو حالية.

القرينة اللّفظية: وهي لفظ مختص بالمشبه يذكره المتكلم، فيصرف ذهن المخاطب عن المعنى الوضعي للفظ المشبه به إلى معنى آخر. ومثاله قولك: " **شاهدت بحر العلوم** " وتقصد رجلا علمه واسع في العلوم، فالقرينة في هذا المقام لفظية هي المضاف إليه " العلوم" حيث بالإمكان رؤية البحر الحقيقي ومشاهدته، لكن إضافة كلمة العلوم إلى البحر منعت من إرادة المعنى الوضعي وعملت على صرف ذهن المتلقي إلى المعنى العارض لكلمة البحر (السعة والعمق والتنوع).

-قرينة غير لفظية: "وهي أمر خارج عن اللفظ يصرف المشبه به عن إرادة معناه الوضعي كشاهد الحال. قد تكون حالية مفهومة من السّياق كما في قول المتنبي مخاطبا سيف الدولة (١) (الكامل):

عيب عليك ترى بسيف في الوغى ... ما يفعل الصمصام بالصمصام؟

ففي لفظ (صمصام) الأول استعارة إذ شبه سيف الدولة بالصمصام (السيف) والقرينة حالية تفهم من السياق.

رابعا /أقسام الاستعارة:

قال الخطيب القزويني: «الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار الثلاثة، وباعتبار اللفظ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله». وهكذا قسم البلاغيون المحدثون الاستعارة الى أقسام تبعا لاعتبارات محدّدة:

1. باعتبار المستعار منه: الاستعارة مكنّية وتصريحية.

2. باعتبار الجامع (لفظ الاستعارة): الاستعارة أصلية وتبعية.

3. باعتبار الثلاثة (ما يقترن بطرفيها): الاستعارة مرشّحة ومجرّدة ومطلقة وتمثيلية.

أ. الاستعارة المكنيّة: عرّفها السّكاكي بقوله «هي أن تذكر المشبّه وتريد به المشبّه به دالّا على ذلك بنصب قرينة تنصبها. وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئا من لوازم المشبّه به المساوية مثل أن تشبّه المنيّة بالسبع، ثم تفردها بالذكر مضيفا اليها على سبيل الاستعارة التخييلية فتقول: مخالب المنيّة نشبت بفلان طاويا لذكر المشبّه به، وهو قولك: الشبيهة بالسّبع». وشاهد السكّاكي مأخوذ من قول الشاعر (الكامل):

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

إذ شبّه الشاعر المنيّة بالسّبع. فالمستعار منه (السبع) محذوف، وكني عنه بشيء من خصائصه (الأظفار). المستعار له (المنيّة) مذكور. القرينة (الأظفار) والجامع بينهما هو الاغتيال. لمزيد من التوضيح يمكن القول: هي الاستعارة التي حذف منها المستعار منه (المشبّه به) ورمز اليه بما يدلّ عليه من صفاته، ولا بدّ فيها من ذكر المستعار له (المشبّه). مثال ذلك قوله تعالى (وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ الذاريات) شبّهت الريح التي لا تحمل المطر بالمرأة العاقر التي لا تحمل الجنين فالمستعار منه المرأة محذوف، وكني عنه بصفة من صفاته (العقم) والمستعار له: الريح مذكور. والقرينة: العقيم. والجامع بينهما: عدم الإخصاب. وبهذا تكون الاستعارة المكنية مقابلة للاستعارة التصريحية.

قال الحجاج بن يوسف الثقافي: 'إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها'. قوله (إني رأيت رؤوسا قد أينعت) شبه الرؤوس بالثمرات، وحذف المشبه به، ورمز للمشبه به بشيء من لوازمه وهو أينعت أي نضجت على سبيل الاستعارة المكنية.

2. قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء 24. شبهت الآية الكريمة الذل بطائر، وهذه استعارة مكنية حيث حُذف منها المشبه به "الطائر" وذُكر المشبه "الذل" وقد ورد في الآية صفة تتعلق بالمشبه به ملازمة له وهي "الجناح" والجامع بين الذل والطائر الإحسان والتواضع.

ب. الاستعارة التصريحية: هي ما صرّح فيها بلفظ المستعار منه (المشبّه به) وحذف المستعار له (المشبّه) كقول المتنبّي مادحا سيف الدولة ومعرّضا بملك الرّوم :

فأقبل يمشي في البساط فما درى ... الى البحر يمشي أم الى البدر يرتقي

موطن المجاز هنا (الى البحر يمشي، الى البدر يرتقي). فالبحر والبدر خرجا عن معناهما الحقيقي ليدلا على شخص الممدوح (سيف الدولة) والعلاقة بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية تقوم على المشابهة، إذ شبّه سيف الدولة بالبحر في جوده على مذهب الأقدمين والمحدثين، وشبّهه بالبدر في رفعة مقامه. وسكت عن المشبه وذكر المشبّه به لهذا كانت الاستعارة تصريحية.

فالاستعارة التصريحية هي لفظ المشبه به المستعار للمشبه، كقولك: "زارني بحر في منزلي". وإجراؤها أن يقال: شبهنا الجواد بالبحر في الإمداد، ثم تناسينا التشبيه، وادعينا: أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعرنا لفظ المشبه به وهو "بحر" للمشبه استعارة تصريحية، وسميت بذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به "كما في المثال المذكور".

ومثالها من القرآن الكريم قوله تعالى (كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) شبّهت الآية الضلال بالظلمات، والهدى بالنور. والمستعار منه (الظلمات) مذكور مصرّح به. المستعار له: الضلال محذوف.

قال المتنبي :

فَلَمْ أرَ قَبْلِي مَن مَشَى الْبَحْرُ نَحوَهُ ولا رَجُلاً قامَتْ تُعانِقُهُ الأُسدُ

بيت المتنبي يحتوي على مجازين هما "البحرُ" الذي يراد به الرجل الكريم لعلاقة المشَابهة، والقرينة "مشى" و "الأُسْد" التي يراد بها الشجعان لعلاقة المشابهة، والقرينة "تعانقه". وهما استعارتان تصريحيتان.

3. قال تعالى:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة 6 . شُبِّه الدين بالطريق، ووجه الشبه هو أن كليهما يوصل إلى الغاية، واستعير بالمشبه به وهو الطريق (الصراط) ليدل على المشبه المحذوف وهو الدين، على سبيل الاستعارة التصريحية.

خامسا/ الفريق بين التشبيه والاستعارة:

أصل الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، فالتشبيه والاستعارة قائمين على علاقة المشابهة، فهما أساس علن البيان العربي يعملان على تقوية المعنى وتقريبه من المتلقي، ويهدفان إلى الإيجاز في الكلام، والتلميع للمعنى بدل التصريح به.

لكن الاستعارة تتميز عن التشبيه بخصائص، منها:

الاستعارة تقوم على النقل والاستبدال حيث يتم التطابق بين المستعار له والمستعار منه، بينما التشبيه هو مقارنة بين شيئين يشتركان في صفة معيّنة، باستخدام أداة تشبيه ظاهرة.

الاستعارة تقم ببناء المعنى في النص والكلام و، وتقوم على التخييل، أما التشبيه فهو أقرب إلى الواقع ويميل إلى والوضوح والتقريرية.

الاستعارة أشد مباشرة وأكثر دينامية، في حين إن في التشبيه بعض الحشو كما إنه أشد ثباتا. إن الاستعارة حاملة للفكر في حين أن التشبيه هو في الغالب مجرّد زخرف لهذا الفكر

لقبت الاستعارة بـ"ملكة الصور البيانية" و"مجاز المجازات" ولا يتأتى الفهم _فهم الاستعارة _ إلا من خلال السياق الذي وردت فيه.

الاستعارة تألف بين الأشياء المتباعدة عن طريق التشخيص والتجسيم.

سادسا/ بلاغة الاستعارة: الاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام وهي بجميع ضروبها وتعدد مذاهبها من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى، فمن خصائها:

-شرح المعنى والإبانة عنه، فبالاستعارة تشخص وتجسد المعنويات وتبث الحركة والحياة والنطق في الجماد، فهي ترنا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل. تأمل قوله تعالى: (لا تستضيؤوا بنار المشركين) فاستعارة "النار" للرأي والمشورة أي لا تهتدوا برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم. فرأي المشركين أمر معنوي خفيّ لا يُدرك إلاّ بالعقل وتمثيله بالنار هو إظهارٌ له في صورة مجسمة مخيفة يبدو فيها رأي المشركين نارا تحرق كل من يلامسها.

فالتشخيص/التجسيم لا يعني فقط تقديم المعاني المجردة في صور حسية؛ وإنما هو تمثيل المعاني للمتلقي، وتقديمها في صور حسية، وجعلها وكأنها أمام نظره، ومن وظائف التّشخيص المبالغة في تأكيد الصفات وإثباتها للمعاني المراد تصويرها.

قد التفت الجرجاني إلى شيء من ذلك بقوله: «فإنّك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية ... وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلّا الظنون، وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها»

- الإيجاز، من خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها: أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر.

-تأكيد المعنى والمبالغة فيه وهي في هذا أبلغ من التشبيه، لأن في الاستعارة كمال الادعاء في الاتحاد بين المشبه والمشبه به، كأنهما شيء واحد.

ومن خصائص الاستعارة المبالغة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة كقوله تعالى في الإخبار عن الظالمين ومقاومتهم لرسالة رسوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ

مَكْرُهُمْ وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ﴾ «فالجبال» ههنا استعارة طوي فيه ذكر المستعار له وهو أمر الرسول، ومعنى هذا أنّ أمر الرسول وما جاء به من الآيات المعجزات قد شبه بالجبال، أي أنّهم مكروا مكرهم لكي تزول منه هذه الآيات المعجزات التي هي في ثباتها واستقرارها كالجبال. فجمال المبالغة الناشئة عن الاستعارة هنا هو في إخراج ما لا يدرك إلى ما يدرك بالحاسة تعاليا بالمخبر عنه وتفخيما له إذ صير بمنزلة ما يدرك ويشاهد ويعاين.

وتكمن بلاغة الاستعارة عامة في: الإيجاز، التصوير، الإيحاء، التأثير الوجداني تقوية المعنى، تنشيط الخيال، والجمال الفني.